

الحجاج بالإيتوس:  
إيتوس الحسن بن علي بن أبي طالب في الخطابة  
السياسية  
"خُطْبُهُ في أهل الكوفة نموذجاً"

The Argumentation of ethos : ethos  
( Al-hassan ibn Ali ibn Abi Talib) in political Rhetoric  
(The Speech of the people of kufa as a Model)

الأستاذ المشرف: محمد زرو جامعة ابن طفيل (كلية الآداب واللغات والفنون)	وفاء اليملاحي* طالبة دكتوراه (اللسانيات المقارنة والتطبيقية) جامعة ابن طفيل (كلية الآداب واللغات والفنون) Amalwafae333@gmail.com
---	---

تاريخ الاستلام: اليوم / الشهر / السنة  
تاريخ القبول: اليوم / الشهر / السنة

**ملخص:**

يهدف هذا البحث إلى تتبع صورة الخطيب الحسن بن علي بن أبي طالب (الإيتوس) في منتخبات من خطبه السياسية، باعتباره ذات متكلمة تروم التأثير في المخاطب (أهل الكوفة) وإقناعه، وتكمن أهمية الصورة الإيتوسية في الكشف عن مدى أهمية هذه الاستراتيجية في استمالة الجمهور وكسب ثقته وبعثه على الإقناع، فعلى قدر إجادة عرض الخطيب لصورة ذاته، تتوفر له إمكانية التأثير في المخاطب وحمله على الثقة والتصديق.

**Abstract : (not more than 10 lines)**

This research aims to trace the image of the orator Al-hassan ibn Ali ibn Abi Talib (ethos) in selected excerpts from him as a speaker who seeks to influence the audience (the people of kufa) and persuade them. The importance of the Ittusian image lies in revealing the significance of this strategy in attracting the public gaining their trust, and convincing them. The ability of the orator to present his own image proficiently allows him to have an impact on the audience, instilling confidence and credibility in them.

**1. مقدمة:**

تعتبر الخطب السياسية خطبا ذات صبغة سجالية بامتياز، لكونها محكومة بحرب المواقع وباعتبار وضع الأطراف المشاركة فيها شبيهة بوضع المتبارين في ساحة سباق

\* وفاء اليملاحي

أو نزال، والغاية المطلوبة ليست البحث عن أرضية مشتركة يجري التفاوض بشأنها، ولكن الإيقاع بالطرف المنافس والظهور عليه، ولتحقيق هذه الغاية يتطلب الأمر اختيار أنجع السبل؛ أهمها بناء صورة للذات يتوفر فيها عاملا الإقناع والفضيلة التي يُضمنها المخاطب في خطابه حتى يستحوذ على قبول الجمهور ويحقق استمالته، والتي تعرف بالإيتوس وهي الصورة التي يقدمها المتكلم عن نفسه لجمهوره. وفي المقابل قد يقوم ببناء صورة معكوسة للخصم يطبق خلالها مختلف الاستراتيجيات التي تمكنه من تشويه صورته وإلحاق أكبر قدر من الأذى به<sup>1</sup>، وقد يتوسل من أجل استمالة المتلقين وتحقيق الإذعان لأفكاره ومعتقداته، والظهور على خصمه، بمجموعة من التقنيات الحجاجية، فيلجأ إلى بناء صورة الذات (الإيتوس) كما ذكرنا، هناك (اللوغوس) وهي الحجة المتعلقة بمحتوى الخطاب، و(الباتوس) تلك الحجة القائمة على تحريك وإثارة عاطفة الآخر لإحداث الإقناع.

و من الضروري التأكيد على حضور المتلقي في ذهن المخاطب في كل مراحل الخطاب، لكونه خطاباً منجزاً بين بائٍ ومتلقٍ تحكمهما بالتالي حالات مختلفة من الإبلاغ والتلقي وتغيير بمقتضاها أدوات الخطاب وآلياته. فمن المهم الحديث عن صورة البائٍ كما يرسمها هو ذاته في خطابه حين يحرص على الظهور بمظهر معين والتخلي بخصال محددة تتلاءم مع غايته وتدعم طاقة خطابه الحجاجية، من هنا جاء عنوان البحث: "الحجاج بالإيتوس: إيتوس الحسن بن علي بن أبي طالب في الخطابة السياسية "خُطْبُهُ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ نَمُودَجًا".

وتتمثل إشكالية البحث في: كيف حاجج الحسن بن علي أهل الكوفة (المخاطب) مستثمراً إيتوسه (صورته)؟ وهل تأتي للخطيب التأثير في الجمهور بصلاحيته ولايته عليهم وكسب تأييدهم؟

### حجج الخطيب ومظهره العاطفي أو الإيتوس (ETHOS) :

يتوقف هذا النوع من الحجج، كما يظهر من كلام أرسطو، على أخلاق المتكلم وسمته، وصفاته ومظهره العاطفي، فالخطيب يحتاج أن يكون صالحاً خليقاً بالثقة ليكون محل تصديق المتلقي وموضع قبول عاطفي لديه، فالصالحون هم المصدقون سريعاً بالأكثر في جميع الأمور الظاهرة<sup>2</sup>.

كما أن "أخلاق الخطيب نفسه تنتهي به إلى الإقناع حينما تكون الخطبة محضرة بشكل يبعث على الثقة، ويملاً نفس الخطيب بالطمأنينة"<sup>3</sup> ، يقول أرسطو مؤكداً هذا الكلام:

وفاء اليملاحي ، الحجاج بالإيتوس: إيتوس الحسن بن علي بن أبي طالب  
في الخطابة السياسية "خُطْبُهُ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ نَمُودَجًا"

"ليس من الضروري فقط أن ننظر كيف نجعل الخطبة نفسها برهانية، بل من الضروري أيضا أن يظهر الخطيب أنه على خلق معين"<sup>4</sup>. هذه الأخلاق والسمات الشخصية تمثل في مجملها السلطة الشخصية للمتكلم وهي "مجرد مظاهر لا يشترط فيها الصدق بقدر ما يشترط فيها أن تكون مقنعة خلال بث الخطاب وتلقيه"<sup>5</sup>، ويتحقق ذلك الإقناع والإفحام "بإظهار القائل المبالغة في تشكيكه / أو تظلمه، وإشراب الكآبة والروعة وغير ذلك في كلامه ما يوهم أنه صادق، فيكون بذلك بمنزلة حال من ادعى أن عدوا وراءه وهو مع ذلك سليل ممتقع اللون، فإن النفوس تميل إلى تصديقه وتقنعها دعواه"<sup>6</sup>. هذه الملامح والمقومات هي أساس الإقناع المستند إلى الجوانب الأخلاقية والعاطفية للباث أو المتكلم، أي الإيتوس. ومجمل القول إنه "إذا كان المتكلم مشهورا بالأخلاق المحمودة وحبه للحق وحرصه على العدل في الحكم وتمكنه من القضايا التي يتحدث فيها، كان حظ الخطاب من الإقناع أوفر وتأثيره في متقبله أبعد غورا"<sup>7</sup>.

### **الحجاج بالإيتوس: إيتوس الحسن بن علي بن أبي طالب في الخطابة السياسية "خطبه في أهل الكوفة نموذجا"**

انبرى الحسن بن علي بن أبي طالب إلى كسب تأييد أهل الكوفة وإقناعهم بأحقية في الخلافة، بإظهار نفسه جديرا بها، وكان عليه أن يبين لهم صدق أخلاقه ومكانته الرفيعة بين باقي الأحزاب، كونه أشرف الناس وعشيرة الرسول (ص)، ثم إنه أقدم من آمن برسالته وأول من أبلى في نصرته، فهو إذن أولى الناس بوراثته، وحمل الخلافة بعده.

### **من الباتوس إلى الإيتوس:**

ينظر أرسطو إلى الانفعالات على أنها عوامل تغير حكم المتلقي إذ يقول: "الانفعالات هي الأسباب التي تستطيع تغيير حكم الناس، وترتبط بالحزن والسرور مثل: الغضب، الشفقة، الخوف، مثلما تتعلق أيضا بجميع المشاعر المشابهة وأضدادها التي تدخل في هذا الإطار"<sup>8</sup>.

نهج الحسن بن علي رضي الله عنه في خطبته الأولى استراتيجية حجاجية ضمنت له تحقيق غايته في كسب مبايعة أهل الكوفة له، فهو يعرف جيدا أن من قتل أباه

هم أهل الكوفة أنفسهم، يقول: "لقد قتلتم الليلة رجلا في ليلة نزل فيها القرآن... "9؛ فهناك اتفاق مسبق بينه (الخطيب) وبين الجمهور حول القضية بحكم أن اشتغال الإيتوس في الخطاب جزء لا يتجزأ من توافق المخاطب مع الآخر، لذا لجأ إلى الحجاج بالأهواء وإثارة انفعالات المتلقي بتطوير حالته النفسية والتأثير فيه، عبر توليد مشاعر لا تجد طريقها إلى الروح إلا عبر الخطاب، تمهيدا منه إلى الحجاج بصورته لنيل مبايعتهم له.

وقد حرص المحاجج الحسن بن علي على انتقاء العبارات والصور التي تجد طريقها إلى وجدان مخاطبيه وذلك لإثارة مجموعة من العواطف والانفعالات في وجدان المتلقين، ومنها:

زرع الإحساس بالذنب في المتلقين و إظهار فداحة الجرم الذي ارتكبه: يقول: "لقد قتلتم الليلة رجلا في ليلة فيها نزل القرآن، وفيها رفع عيسى بن مريم عليه السلام، وفيها قتل يوشع بن نون، فتى موسى عليهما السلام"10.

يقصد المخاطب من هذا الملفوظ الحجاجي، تحريك مجموعة من المشاعر في نفسية المخاطبين، فهم من قتلوا علي بن أبي طالب وقد كان خليفتهم في الأرض وهو من المبشرين بالجنة.

ويقدم المخاطب حججا واضحة على فداحة الجريمة التي اقترفوها في حق علي بن أبي طالب:

الحجة الأولى: لقد قتلتم الليلة رجلا في ليلة نزل فيها القرآن

الحجة الثانية: ليلة رفع فيها عيسى بن مريم  
الحجة الثالثة: ليلة فيها قتل يوشع بن نون، فتى موسى  
عليهما السلام

تنطلق الحجة الإيتوسية في هذه الخطبة من عظمة الليلة التي استشهد فيها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك إشارة إلى عظمتها، فهي الليلة التي نزل فيها القرآن والذي يمثل حدثا عظيما في حياة المسلمين، ثم إنها الليلة التي رفع فيها نبي الله عيسى (عليه السلام)، ثم الليلة التي قتل فيها يوشع وصي موسى (عليه

وفاء اليملاحي ، الحجاج بالإيتوس: إيتوس الحسن بن علي بن أبي طالب  
في الخطابة السياسية "خُطْبُهُ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ نَمُودَجًا"

السلام)؛ ولأنها كانت أول خطبة للإمام الحسن بعد شهادة أبيه، لذلك كانت سببا في ذكر عظيم منزلته، ليعلم المسلمون من فارقوا في تلك الليلة، لتتوجه الحجة بعد ذلك لمبايعة من هو أولى بخلافتهم بعده، وقد جاءت الحجج المتسلسلة بأحداثها مرتبة تنازليا وبالشكل الآتي:

\_ نزل فيها القرآن

\_ رفع فيها عيسى بن مريم

\_ قتل فيها يوشع بن نون

إن ترتيب الحجج بحسب أهميتها وقوتها جاء لاستنكار ذلك الموقف وبيان عظمة ما ارتكب من فعل، وما على المتلقي إلا أن يسلم بفداحة ذلك الجرم ويعلن الطاعة لإمامه، فالإمام (الخطيب) يعلم ما مدى القداسة و المنزلة التي يحتلها القرآن في قلوب المسلمين وعظمة الليلة التي أنزل فيها، لذلك جاءت هذه الحجة في المقدمة ليكون المتلقي مُلبيا لما يسمع، ولا شك عنده أو ردًا ليخالف فكرة المحاجج. ثم تلتها الحجج الأخرى لتحقيق النتيجة المطلوبة والتي بدت واضحة في موقف أهل الكوفة بعد أن ختم الخطيب كلامه، حيث قام عبد الله بن عباس ودعا المسلمين للبيعة فأذعنوا له مظهرين حبهام له ومعترفين بحقه عليهم<sup>11</sup>.

فبما تحويه الحجة الأقوى من رصانة ومصداقية وقوة، وما لها من أهمية في ردع كل من يشك أو يتردد في حجج الطرف الآخر، لذلك يجعلها المحاجج في مثل هذه المواضع في أعلى درجات الكلام؛ لما تحققه من إذعان ومقبولية يجعل ما بعدها مسلما به دون شك، وهو ما عمل به الخطيب الإمام الحسن. فالمرجعيات التي اعتمدها الخطيب كانت قوية في سياق المقام الذي أُدرجت فيه وغايتها الوصول إلى نتيجتين: الأولى صريحة (تعظيم القتل والتكفير عن الذنب) والثانية ضمنية (التسليم بإمامة الحسين عليهم).

بلّغ الخطيب الناس بتأثره بموت أبيه فزرع الإحساس بالذنب في نفوسهم وحاول تركيز أفكارهم حول كونه شريفا مثل أبيه، حتى يخلو له الجو ويبسط قضيته (الدعوى) التي من أجلها ألقى الخطبة على مسامعهم،

وهي حثهم على قبول ولايته عليهم، فظهر فيهم بصورة الصبور على البلاء العظيم، وكأنه يقول لهم: « أنتم قتلتم علي بن أبي طالب وقد كان رجلا صادقا ومخلصا...، إذن كَفَرُوا عن ذنبكم وخطئكم العظيم و بايعوني وخذوني خليفة لكم، كوني ابنه وأشاطره تلك الصفات الحميدة ». ولا يكتفي الحسن بن علي عن هذا الحد في إثارة انفعالات متلقيه، بل يلجأ إلى البكاء.

\_بكاء الخطيب وبكاء الناس معه:

ويواصل الخطيب دغدغة مشاعر الآخرين بأن يبكي: "ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه"<sup>12</sup>.

إن لجوء المخاطب للبكاء في مجلسه يدل على أمرين اثنين: أما الأمر الأول فهو أن الخطيب يبكي ليثير أكثر مشاعر الناس وينال عطفهم وإشفاقهم عليه وبالتالي يستجيبوا لمطلبه في كسب خلافة المسلمين، والأمر الثاني هو جعلهم محط اتهام وتصبح الخطبة كأنها مرافعة قضائية، يبين فيها الخطيب إدانتهم بالتهمة، وسوء فعلهم الآثم ( قتل علي بن أبي طالب)، كما يُنذِرهم بصيغة غير مباشرة بعاقبتهم وجزاء عملهم المظني.

راهن الحسن بن علي انطلاقا من كل هذه الاستراتيجيات الحجاجية على إصابة الهدف من المتلقي (قتلة علي بن أبي طالب)، هياها نفسيا ووجدانيا وعاطفيا عبر هذه الأساليب البلاغية الخاصة التي أثارت فيه الندم والخوف على حد سواء، وجعلته يدرك فداحة الجرم الذي ارتكبه .

إن ما سعى إليه الحسن بن علي وحاجج من أجله تحقق، فنتيجة إثارة مشاعر المخاطبين هي استجابتهم له وذلك حين يبكون معه .

بعد تحقيق المخاطب لهدفه في دغدغة أحاسيس وانفعالات المتلقي، أصبحت الطريق ممهدة له للانتقال لدعواه الأساس والمتمثلة في حثهم على قبول ولايته عليهم وإيقاع التصديق في نفوسهم بصلاحه ونفعه، فكان حريصا على بناء صورته الاخلاقية؛ فأرسطو يرى أن الصورة الاخلاقية للمخاطب تعتبر مصدرا من مصادر الحجاج، فالمتكلم يحاجج بصورته التي ينبغي أن تقع موقعا حسنا في نفوس المتلقين، يقول الحسن بن علي: "أيها الناس:

من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والذين افترض الله مودتهم في كتابه، إذ يقول: (ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا)، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت".<sup>13</sup>

تنطوي هذه الملفوظات الحجاجية على غرض مبين في نفس الخطيب، وهو نزع صفة الأحقية بالخلافة من المتلقي؛ المتلقي الذي هياه من قبل نفسيا ووجدانيا لتقبل أفكاره والإذعان له، فهل تتحقق غاية المتكلم الحسن بن علي في استجابة الناس لبيعته بعد دغدغة مشاعرهم وزرع الخوف فيهم؟ وهل استثماره للباتوس خدم إيتوسه؟

إن استهلال الخطيب خطبته بعبارة (أيها الناس) هي غرض منه إلى إثارة انتباههم إلى الدعوى التي سيطرحها، بحيث تكشف طبيعة العلاقة بين الخطيب والمتلقي؛ فالمخاطب يمرر خطابه هنا لعامة الناس بعد أن وجه خطابه الأول لفئة معينة وهي (قتلة علي بن أبي طالب). ثم يتابع كلامه فيقول: "من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله"، ثم يقسم ضمنيا الناس إلى فئتين: فئة تعرفه حق المعرفة وتسلم بصدقه ومنزلته وانتمائه إلى سلالة الرسول (ص)، وفئة تجهله وتجهل أثره ونسبه، فالحجج التي سيدلي بها ستكون بمثابة تذكير بصورته الأخلاقية وبمنزلته الرفيعة للفئة التي تجهله من الناس والتي أشار لها بهذا الملفوظ (ومن لم يعرفني)، وفيما يلي رصد للحجج الأخلاقية التي استثمارها المخاطب الحسن بن علي في إقناع هذه الفئة بانتمائه إلى سلالة الرسول (ص)

### **إيتوس النسب إلى سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم:**

أدخل يهتم الخطيب السياسي في المقدمات التي تسبق حجته بتمهيد لعرض الدعوى وإقامة الحجة عليها، وعادة ما تكون هذه المقدمات متفقا عليها بينه وبين المتلقين (الجمهور)، وهي من المسلمات و المفاهيم المتعارف عليها، وإذا نظرنا إلى الخطب السياسية

وجدنا أن خطباء الشيعة يطالبون بالحكم لعلي، فحينما يأتي المخاطب ليقدم حجته، يذكر المسلمات المتفق عليها بينه وبين المتلقي؛ كأن يذكر الصفات الحميدة مثل: العدل، الشجاعة، السماحة، الكرم، وغيرها، فقد كان لهاشميين مجال يحيون فيه ولا يعرفون سواه، فهم منذ جاهليتهم للرياسة الدنيوية، طبعوا على ما توحى به من الإيمان والصراحة والصدق والعفة والشرف والفضيلة والترفع والخلائق المثالية، والمزايا الأدبية، والشمائل الدنيوية، والآداب النبوية<sup>14</sup>.

وقد بقي محور الانتساب للأسرة المقرّبة عند المولى تعالى وسلالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتاريخها الحافل بالمكرّمات والاستشهاد في سبيله، بقي محرّكاً أساسياً في خطب الحسن بن علي رضي الله عنهما، بحيث عوّل عليه بوصفه حجة يحتج بها على المخاطبين، ويؤثر فيهم بوصفه ينتمي له ويتفرع منه .

يقول الحسن بن علي في نفس الخطبة: "أنا الحسن بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير".

يظهر الخطيب الحسن بن علي رضي الله عنهما في هذا الملفوظ الحجاجي بوصفه أحد أبناء الرسول صلى الله عليه وسلم، النبي العظيم التي تجلت فيه كل الخصال النبيلة من صدق وأمانة ونبل ودعوة للناس إلى الامتثال بأوامر الله واجتناب نواهيه، فمكانته مكانة خاصة تتصل بالله خالق الناس أجمعين الذي اصطفاه من بين عباده وجعله رسوله في تبليغ الرسالة السماوية، هذه المكانة تجعل للحجاج التي يقدمها الحسن بن علي قوة إقناعية عظيمة لا يستطيع المستمع إلا الاقتناع بها فكيف لابن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يشبهه ويتحلى بصفاته، فهذه استراتيجية حجاجية استثمرها الخطيب ترمي إلى محاولة إيقاع الأثر الحميد والنسب العظيم في نفوس المتلقين، فهو يستغل نسبه إلى سلالة الرسول (ص) وكأنه يريد إيصال رسالة إلى الجاهلين به مفادها: أنا أنتمي إلى عائلة الرسول (ص) صدقوا دعواي وأحكموا البيعة لي.



ويقول أيضا: "أنا من أهل البيت، الذين أذهب الله عنهم  
الرجس وطهرهم تطهيرا، والذين افترض الله مودتهم في  
كتابه إذ يقول "ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا ،  
فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت". يبدو أن الحسن بن  
علي كان حريصا على توجيه خطابه إلى الفئة التي تجهل  
انتماءه إلى أهل البيت، لكي تضمن له قبولا أوسع  
وتأثيرا أشمل فيؤكد لها بقوله " أنا من أهل البيت "  
ولا يكتفي بانتمائه لأهل هذا البيت العظيم فحسب بل  
يقدم سمات أخلاقية دقيقة له بقوله " أذهب الله عنهم  
الرجس وطهرهم تطهيرا "، لقد أراد الخطيب بهذه السمة  
الدالة على الطهارة أن يظهر صورته الذاتية لصيقة بها  
مادام ينتمي لأهل البيت، ولكي لا يترك مجالا للشك  
والريبة للمتلقي ويضمن تأثيرا وقبولا من طرفه أكد  
حجته الأخلاقية بالمفعول المطلق (تطهيرا) الذي يفيد  
توكيد معنى الطهارة والنقاء، وسمة أخرى أسبغها  
الخطيب على ذاته في قوله: "والذين افترض الله مودتهم في  
كتابه إذ يقول: "ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا"،  
فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت". إن محاولة الخطيب  
إقناع المخاطبين بنجاعته في الخلافة استوجب عليه  
الظهور أمامهم بمظهر المؤمن الذي لا يقترب سوى  
الحسنات، ويعزز حجته بآية قرآنية بمنزلة حجة السلطة،  
وكأنه أراد أن يقول لمستمعيه: أنا بهذه الصفات  
والسجايا الرفيعة ( الطهارة، الإيمان، اقتراف  
الحسنات، البر، التقوى.. ) أستحق مبايعتكم لي كخليفة  
للمسلمين .

أراد الخطيب الإمام الحسن إثبات أحقيته بالخلافة  
والولاية عبر التعريف بنفسه وانتسابه إلى الرسول صلى  
الله عليه وسلم والإمام علي رضي الله عنه، ومن ثم التعريف  
بنفسه عن طريق القرآن الكريم الذي يمثل حجة قوية لأنه  
خطاب سلطوي ديني، يمثل أنموذج للحق لا يمكن الشك به .  
ولإذكاء هذه الصفات الأخلاقية أكثر في نفوس متلقيه،  
أورد الخطيب جملة من الحجج التي تجعله مؤهلا للخلافة  
فيقول في ملفوظ حجاجي آخر من خطبة له في عهد  
الخلافة: "نحن حزب الله المفلحون وعترة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم الأقربون، أهل بيته الطاهرون الطيبون وأحد

الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثاني كتاب الله، فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول عليه في كل شيء، لا يخطئنا تأويله، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا، فأطاعتنا مفروضة، إذا كانت بطاعة الله والرسول وأولى الأمر مقرونة"<sup>15</sup>.

يفيد ضمير المتكلم الدال على الجماعة "نحن" على الاستعلاء والافتخار؛ فمنذ الوهلة الأولى يشير الخطيب إلى المكانة التي يحظى بها دون بقية الناس، بوصفه ينتمي إلى حزب الله المفلحين، وهو بالإضافة إلى ذلك حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكلمة الحزب مأخوذة من القرآن الكريم ولها دلالة إيجابية تشير إلى أن ثمة حزبا صالحا يجوز للمسلمين الانضمام إليه وتأييد حكمه في الخلافة، استنادا إلى قوله تعالى: «ألا إن حزب الله هم المفلحون»، وتقتضي عبارة (المفلحون) وشم الخطيب ذاته بصفة من صفات المؤمنين الخاشعين، المجدين في عملهم، كمحاولة منه للتأثير في المخاطب وإقناعه بفاعليته في العمل من أجل صلاح الأمة، ويضيف أيضا: "وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقربون" بانتمائه إلى شجرة الرسول (ص) الطاهرة، كما يظهر الخطيب نفسه جديرا بالطاعة فيقول: "فأطيعونا فاطاعتنا مفروضة، إذا كانت بطاعة الله والرسول مقرونة"، يشير الخطيب في هذا الملفوظ إلى الآية القرآنية: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا»<sup>16</sup>.

يجعل الخطيب الحسن بن علي من نفسه في خطابه حاكما وزعيما توفرت فيه كل الصفات الحسنة التي تجدرت في سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم تفرض على المتلقي طاعته والولاء له، وصيغ كل هذا في قياس مضمرة:

- خليفة المسلمين يجب أن تتوفر فيه صفات الطهارة والصدق والإيمان والتقوى

- الحسن بن علي مؤمن وصادق وطاهر

- الحسن بن علي خير خليفة للمسلمين

وفاء اليملاحي ، الحجاج بالإيتوس: إيتوس الحسن بن علي بن أبي طالب  
في الخطابة السياسية "خُطْبُهُ في أهل الكوفة نموذجاً"

وإذا عدنا إلى التساؤل الذي طرحناه في بداية هذا التحليل، والذي مفاده هل استثمر الخطيب باتوسه لدعم إيتوسه في كسب مبايعة الناس له ونزع صفة الأحقية بالخلافة منهم؟ نجد أن ما سعى إليه الحسن بن علي تحقق بعد انتهائه من إلقاء الخطبة مباشرة "فلما انتهى إلى هذا الموضوع من الخطبة، قام عبيد الله بن العباس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا وقالوا ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة؛ فبايعوه ثم نزل من المنبر<sup>17</sup> .

استدل الخطيب الحسن بن علي على عظيم مكانته وسموها بالنسب الشريف، فالتقديم بهذه الكيفية الواضحة يفعل في المخاطب فعل الصدمة؛ لما يعرف من سمات هذا البيت الشريف من فضائل وأخلاق وحكم، وهنا قدم الخطيب دليلاً لا يدانيه دليل آخر في أحقية هذا البيت بالاحترام والتوقير لا بالقتل والسلب، وبذلك يكون الخطيب قد وظف دليلاً غير قابل للنقض ولا يكون محل شك من قبل المتلقين (أهل الكوفة)، لأنهم أقرب إلى الحدث وألصق بالقضية وأدرى بالفاجعة وأوعى بما لهذا البيت من حسن سيرة وخلق، فمنهم من عايش عصره بخلافة الإمام علي (عليه السلام) أو صحبه أو سمع به من أقرب ناسه، لذلك صار الدليل الذي عرض دليلاً لا ينقض، فحقق غرضاً مهماً في الخطاب وعليه استند فيما بعده من حجج دامغة، جعلت الخطاب خطاباً حجاجياً بامتياز .

وبانتقالنا إلى خطبة أخرى للحسن بن علي في رده على معاوية بن أبي سفيان حين نال منه ومن والده، نجده يحاجج أيضاً بالانتساب إلى سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول: "أيها الذائر عليا: أنا الحسن، وأبي علي، وأنت معاوية، وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وأمك هند، وجدّي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجدّك عتبة ابن ربيعة، وجدّتي خديجة، وجدّتك قتيلة، فلعن الله أئمتنا ذكراً، وأئمتنا حسبا، وشرّنا قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً<sup>18</sup> ."

استهل الخطيب كلامه بالنداء (أيها الذائر عليا)، و (عليا) هو مفعول اسم الفاعل، فلم يُسمّ المنادى الشاتم (معاوية) تجنّباً لذكر اسمه بل لم يذكر الشتم، أو

الاستنقاص، صيانة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وقد سعى الخطيب في خطابه هذا إلى عقد مقارنة بين نسبه ونسب معاوية، من خلال لعب دور العارض للحقائق، فكان يعرض حقيقة ماضيه وماضي معاوية على الجمهور بهدف تفكيرهم وإعادة تمثيلهم إلى حقيقة الأحداث التي جمعت بين الرسول صلى الله عليه وآتباعه. فجعل الحكم في القضية بينه وبين "معاوية" في يد الجمهور، وكانت استراتيجيته في الدفاع والحفاظ على صورته من خلال عرض تلك الحقائق والتي تدين ماضي معاوية وأهله وفي المقابل تنتصر بصورة "الحسن بن علي"، نتيجة العلاقة التي تربط بينه وبين أهل البيت. فكان الهدف منها إثبات البون الشاسع بينه وبين معاوية، فبرز "الحسن بن علي" على "معاوية" في مقام القائل بالحق الحامل لقيم الجماعة من خلال الفخر بنسبه الذي يريد من خلاله إثبات علو شأنه، ما أهله لمنافسة معاوية، والهدف منها كان لإثبات حقيقة مسبقة لغرض الفخر والتعظيم، وفي المقابل تذكير لماضي معاوية ومآقاه به أهله للقضاء على الإسلام ومحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم .

لم تكن الخطبة التي ألقاها معاوية بن أبي سفيان والتي سبقت خطبة الحسن، خطبة صلح وتناسي ما حصل، بل التمسك بما كان عليه من مواقف شقت الصف، فليس هناك من دعوة إلى تناسي ما مرّ، ولا اجتماع على جديد يخالف ما سبقه، بل خطاب قوّة وتسلّط وإفحام يستبطن التهديد والوعيد، وخال من الحجج العقلية المقنعة، ذلك ما اضطرّ الإمام الحسن إلى الردّ بمنطق التّساوي والتّند للند، وبالحجج الواضحة التي لا اختلاف فيها عند المخاطبين:

أنا الحسن	أنت معاوية
أبي علي	أبوك صخر
أمي فاطمة	أمك هند
جدّي رسول الله	جدك حرب
جدتي خديجة	جدتك قتيلة

فالمقابلة التي عقدها الخطيب بينه وبين الطرف الآخر، جاءت في سياق الاعتراض الصريح على المبادر بالإزدراء والتعالي، وقد اعتمد جملاً دالّة على التفضيل التي

وفاء اليملاحي ، الحجاج بالإيتوس: إيتوس الحسن بن علي بن أبي طالب  
في الخطابة السياسية "خُطْبُهُ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ نَمُودَجًا"

تناسب المقام، وتفضح حقيقة الأدنى، وركبت هذه الجمل  
مع الضمير العائد على الاثنين (المتكلم والمقصود  
بالخطاب).

أخملنا ذكرا

وألأمننا حسبنا

وشرنا قديما وحديثا

وأقدمنا كفرا ونفاقا

أراد الإمام الحسن بعد هذه المقابلة الوصول إلى  
التفاعل المباشر مع المخاطبين، وإثارة انفعال  
المتلقين، وإشراكهم في التمييز المباشر والتحكيم بيم  
الفريقين المختلفين؛ إذ قدّم على صيغ التفضيل المكررة  
هذه، عبارة التفاعل: (فلعن الله...)، فكانت الاستجابة  
مباشرة، وأسلوب التواصل مؤثرا، والردّ قويا بعد قوله:  
"فلعن الله أخملنا ذكرا، وألأمننا حسبنا، وشرنا قديما  
وحديثا، وأقدمنا كفرا ونفاقا، أن ضجّ المخاطبون من  
أهل المسجد: آمين آمين).

هذا التناظر المعبر عن الفارق بين الفريقين الذي  
يدور بمدار الفارق بين مقام وراثته النبي صلى الله عليه  
وسلم، وشرف حمل رسالته، وبلوغ أعلى مراتب الصفاء  
والتقوى، من المذكورين الذين رفعهم الله وظهرهم تطهيرا،  
في مقابل من لم يكن كذلك، إذ هي حقائق صريحة واضحة،  
لا يُتوقّع أن يشكّ فيها المخاطبون.

إن التذكير بهذه الصفات أمر ضروري لجأ إليه الخطيب  
ليسد الباب على كل من لم يقتنع به كخليفة للمسلمين  
بعث من لدن الله سبحانه وتعالى لإدارة شؤون المسلمين  
باعتباره حفيد النبي صلى الله عليه وسلم وأولا،  
وبانتمائه إلى سلالة الطاهرة ثانيا.

### صورة الخبير الناصح والموجه المرشد:

استنكر أهل الكوفة مصالحة الحسن بن علي لمعاوية،  
فتفرقوا عنه وحاولوا النيل منه، لكنه كان حذقا فاتبع  
في محاججتهم وإقناعهم أسلوب الخبير العارف بمصالحهم،  
فقال: "أشهد الله وإياكم أني لم أرد بما رأيتم إلا حقن  
دمائكم، وإصلاح ذات بينكم، فاتقوا الله، وارضوا بقضاء الله،  
وسلموا لأمر الله، والزموا بيوتكم، وكفوا أيديكم، حتى  
يستريح برّ، أو يستراح من فاجر"<sup>19</sup>، وهي ملفوظات حجاجية

وظفها الخطيب لإقناع أهل الكوفة بنجاعة مصالحته لمعاوية فقصد إلى الظهور في صورة الخليفة المسؤول الخائف على أحوال الناس، الناطق بالحكمة، وهذه الملفات أيضا رفعت من الفعالية التأثيرية للخطاب، وأكسبت كلام الحسن قيمة إضافية، فالذات الخطابية تنهض بوظيفة بلاغية لا تنفصل عن مختلف العناصر النصية الأخرى<sup>20</sup>، إن محاولة تبرير الحسن بن علي أمر مصالحته لخصمه معاوية تنم عن مقدرته الخطابية المُنقعة .

يقول في خطبة أخرى له في تبرير مصالحته معاوية: "فوالله إنني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومثله، وأنا أنصح خلقه بخلقته، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة، ولا مريدا له بسوء ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة. ألا وإني ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا علي رأيي".<sup>21</sup>

استهل الخطيب خطبته بالقسم (فوالله) وفيه تأكيد على إضمار الخير لهم والصدق فيه؛ فحقن دماء المسلمين هو ما دعاه إلى مصالحة معاوية.

#### 4. خاتمة:

نأتي إلى ختام هذا البحث من البحث، فنجد أنفسنا ملزمين بذكر أهم ما بات راسخا في فكرنا من نتائج خلصنا إليها بتمام أجزائه، ومن أولها تأكيدنا على أن حجاجية الإيتوس تمثلت في سعي الخطيب السياسي إلى استمالة المتلقي نحو سياسته وإقناعه بإحكام البيعة له ولحزبه، وتأليه على من يخالف دعوته، وفي سبيل هذه الغاية وظف صورته الأخلاقية (الإيتوس) في خدمة الدعوى التي يطمح إيصالها إلى الجمهور وهي كسب أحييته في خلافة المسلمين. ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة فيما يلي:

- حرص الخطيب الحسن بن علي بن أبي طالب على الحجاج بالأهواء وإثارة انفعالات المتلقي بالظهور بمظهر المتأثر (البكاء مثلا) وغرضه الأساس هو جلب ثقة الجمهور وكسب تأييده كتمهيد منه للحجاج بصورته الأخلاقية.

- لكسب تأييد المخاطبين، استغل الخطيب الاتفاق المسبق بينه وبين المخاطبين حول القضية المتجادل حولها وذلك لكسب تأييدهم وجلب ثقتهم.
- تبني الخطيب استراتيجية حجاجية في إقناع متلقيه بضرورة إحكام البيعة له، وهي نسبة لسلالة الرسول صلى الله عليه وسلم وانتماؤه لأهل البيت الشريف، كمحاولة منه إيقاع الأثر الحميد والنسب العظيم في نفوس المتلقين لأجل تصديق دعواهم وإحكام البيعة لهم.
- ظهر الحسن بن علي في خطبه الموجة لأهل الكوفة بصورته الخبير الناصح العارف بمصالحهم والموجه لهم في نقد الخلافات، وذلك بغية إقناعهم بنجاعة مصالحته لمعاوية، فقصده إلى الظهور في صورة الخليفة المسؤول الخائف على أحوال الناس، الناطق بالحكمة.

#### 5- الهوامش:

محمد الناصر العجيمي، اجتياز الحدود: في مساءلة مفهوم الخطاب السجالي، تونس، المكتبة المغاربية لطباعة وإشهار<sup>1</sup>

الكتاب، الطبعة الأولى، ص 48

المرجع نفسه، ص 101<sup>2</sup>

المرجع نفسه، ص 101<sup>3</sup>

المرجع نفسه، ص 102<sup>4</sup>

مصطفى الخرافي، الأبعاد التداولية لبلاغة حازم من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 285<sup>5</sup>

حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 347<sup>6</sup>

حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح (ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية)، ص 127<sup>7</sup>

محمد الطاهر درويش، 1967م، الخطابة في صدر الإسلام، العصر السياسي، عصر الدولة الأموية، مصر، دار المعارف،<sup>8</sup> د ط، ص 60

أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج2، ص 19<sup>9</sup>  
المرجع نفسه، ص 110<sup>10</sup>

العلامة المجلسي، بحار الأنوار في جمع درر أخبار الأئمة الأطهار، ص 362<sup>11</sup>

أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج2، ص 2<sup>12</sup>  
المرجع نفسه، ص 213<sup>13</sup>

محمد الطاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، ص 131<sup>14</sup>

أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج2، ص 111<sup>15</sup>

سورة النساء، الآية 59<sup>16</sup>

أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج 2، ص 2<sup>17</sup>

المرجع نفسه، ص 8<sup>18</sup>  
المرجع نفسه، ص 10<sup>19</sup>  
عبد الفضيل ادراوي، بلاغة الوصية "وصية علي بن أبي طالب  
إلى ولده الحسن نموذجاً"، ص 119<sup>20</sup>  
أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج2، ص 4<sup>21</sup>  
**مصادر ومراجع البحث:**

1. ادروي، عبد الفضيل، 2013م، بلاغة الوصية، "وصية بن أبي طالب إلى ولده الحسن نموذجاً"، ضمن كتاب بلاغة النص التراثي، إشراف محمد مشبال، المغرب، دار العين للنشر.
2. أرسطو، طاليس، 1959م، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مصر، مكتبة النهضة المصرية.
3. درويش، محمد الطاهر، 1967م، الخطابة في صدر الإسلام، العصر السياسي، عصر الدولة الأموية، مصر، دار المعارف، دط.
4. شعبان، علي، 2007م، الحجاج بين المنوال والمثال ( نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري )، تونس، مسيكلاني للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى.
5. صفوت، أحمد زكي، 1933م - 1352هـ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، العصر الأموي، مصر، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الباني وأولاده، الطبعة الأولى
6. صمود، حمادي، (د.ط)، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح (ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، فريق البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة تونس، المجلد XXXIX.
7. العجيمي، محمد الناصر، 2010م، اجتياز الحدود: في مساءلة مفهوم الخطاب السجالي، تونس، المكتبة المغاربية لطباعة وإشهار الكتاب، الطبعة الأولى.
8. العلامة المجلسي، 1983م، بحار الأنوار في جمع درر أخبار الأئمة الأطهار،، تح: محمد الباقر البهبودي، والسيد ابراهيم الميانجي، بيروت، مؤسسة الوفاء، ط2.
9. الغرافي، مصطفى، 2011م، الأبعاد التداولية لبلاغة حازم من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء، مجلة عالم الفكر، المجلد 40، يوليو- شتبر.
10. القرطاجني، حازم، 1966م، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب الخوجة، تونس، طبعة دار الكتب الشرقية.